أبو سعدة

في شوارع العالم

أبو سعدة
في شوارع العالم

صورة الغلاف للرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي التقطت في المسجد الأموي في شباط ١٩٥٨ . حيث أظهر فيها على الجانب الأيسر .

الإهــــداء

إلى والدي الذي رحل مبكراً

أحمد عبد الفتاح أبو سعدة

مُقَدِّمَة

كلّما صارت قبضة الزمن الحاضر أكثر ثقلاً علينا .. ازدادت رغبتنا للإفلات منها ، واشتد حنيننا إلى الماضي حيث الذكريات تستقبلنا بدفء وعطف شديدين .

أدرك أنني لن أعيش تلك الأيام ثانية . ولذلك تغدو عودتي إلى الوراء بمثابة تأمل في مسيرة حياة طويلة ومحاولة للاستخلاص عبرة منها تمدني بالرؤية الصحيحة في أيامي المقبلة .

أتمنى أن تكون رحلتي بين ذكرياتي القديمة ممتعة لكم كما كانت بالنسبة لي .

أحمد أبو سعدة

انتبه . استاااعد . ؟!

« خيوط العنكبوت »

- المكـان : معسـكر / سمسـم / للاجئين الارتريـين في شرق السودان ..

- الزمان : شهر ٩ -- عام ١٩٦٩ .

- لا شيء حولي آراه كي أصوره ، سـوى كتل صغيرة وكبيرة من اللحم الناشف المرمي على التراب .

- الحشرات الطائرة والزاحفة معشعشة علـى هـذه الكتـل البشـرية ، وكـل حشـرة طـائرة أو زاحفـة ، تريـد أن تـأخذ نصيبها من ماتبقى من لحم ودم .

- عشرات الجثث من الأطفال والرجال والنساء مرمية علـى الأرض ، وجيـوش الحشـرات تئـن وتـتزاحم بـل تقـاتل بعضهـا البعض على ما تبقى من هذه الأجساد من أي لباس كان .

- كانت طفلة صغيرة لا يتجـاوز عمرهـا ثـلاث سـنوات وبالقرب منها هيكل إمرأة تحرك يدها فـوق طفلتهـا ، ابتعـد جيش الحشرات ، أمعنت النظر في الهيكل العظمي الكبير فلم يعرني أي اهتمام ؟! ، وعدت أتأملُ الطفلة التي كَـبُرَ رأسـها وبرزت عظام وجهها وانتفخ بطنها وأصبحت يداها وأرجلهـا

عظاماً يغطيها جلد رقيق مجعد ، إذا شددته قليلاً ترى ما تحته ؟! .

وتأملت هذه الطفلة ! ، تأملتها ... تأملتها ...؟!! طفلة نائمة نوماً أبدياً ، ما هذا الخيط الرفيع الذي يلمع على مؤخرتها ؟! .

تأملت ذلك جيداً ، وقطبت حاجبي ، وجلست القرفصاء ، أتأمل هذا الخيط الرفيع اللامع على شرجها .

خيط من العنكبوت على شرج مؤخرة الطفلة ؟!!! غير معقول ؟!!! ما هذا ؟! ما هذا الذي آراه أمامي ؟ ، شرج وعليه عنكبوت ، ونظرت حولي وتحسست جسدي ، هل أنا في كابوس مزعج مخيف ، أم أنا في مأساة حقيقية أعيشها ؟!! وصرخت بصوت عالي ، منذ متى وهذه الطفلة لم تتغوط ؟!...

لم يجبني أحد ، فسكان العراء نائمون ولا يحبون الصراخ ولا أن يوقظهم أحد فمنهم من نام إلى الأبد ومنهم من يمشي إلى النوم الأبدي ، وعدت أصرخ بأعلى صوتي ؟!!..

– أيها البشر من منكم يقول لي منذ متى وهذه الطفلة لم تأكل وتشرب ؟!

لا أحد يجيب سوى صوت الهواء وكأنه يصرخ في وجهي ، : امضِ في طريقك أيها الرجل ، فأنت غريب هنا..

وعدت أصرخ : أيها البشر أخبروني منذ متى وهذه الطفلة لم تغوط ؟!!..

يزداد صوت الهواء وتتحرك جيوش الحشرات خائفة هاربة من فوق الجثث مستنكرة من هذا « الغليظ » المتطفل الذي أزعجها وأبعدها بقوة من فوق أكل اللحم ومص الدم ، وأمسكت / كاميرتي / وبسرعة بدأت ألتقط الصورة تلو الصورة خوفاً من الهواء أن يزيل خيط العنكبوت واشتد الهواء وزمجر ، وهربت الحشرات ولم يبق سواي والجثث على التراب صامدة ، ومرت الثواني والدقائق وخيط العنكبوت صامد و/ كاميرتي / صامدة على عيني ، أريد أيضاً أن أصور لحظة إزاحة الهواء للخيط العنكبوتي من على مؤخرة الطفلة .

واشتد الهواء ، وقذف بالتراب ولعب به على جثث الهياكل المتبقية ورفعت / الكاميرا / وأغمضت عيني وجلست على الأرض والتراب يلعب بنا ، دقائق وانتهت الزوبعة الترابية وصحا الجو وكأن شيئاً لم يحدث واقتربت من الطفلة ونظرت إلى خيط العنكبوت فوجدته لا زال صامداً في مكانه بين شقي مؤخرة الطفلة ؟!!...

– إبعد / يا أخينا / إبعد / يازول[1] وخاف ربك ..

---

(١) زول : رجل باللهجة السودانية ..

انتبهت على هـذا الصـوت ، صـوت رجـل راكـب عربـة يجرها حمار أعرج .

- مالذي فعلته لتسمعني هذا الكلام ؟!..

- من بعيد وأنا أراك تحوم حول هـذه المسكينة العاريـة ، وبدلاً من أن تغطيهـا وتسترها ، عـم تصورهـا ، اتقـي الله يـا /زول / وأمشي مـن هنـا ربنـا / يورجينـا / فيكـم يـوم يا / خواجة / .

ترجل الرجل من عربته ونظرت إليه وإلى عربته :

- يا الله ما هذه الكتل العظمية اللحمية المقددة .

وامتدت يدا الرجل لتحمل الطفلة وتضعها في العربـة بـين هيـاكل الأطفـال أمّـا الهيكـل العظمـي الكبير بقـي ينحـب ويصرخ بلا جدوى ..

وتمضِ العربة بالعظم والجلد وأركض لأرى كم هـو عـدد خيـوط العنكبـوت علـى مؤخـرات الهيـاكل العظميـة ، وأنـا أصرخ بـأعلى صوتـي ، أيهـا العـرب أخـاف علـى مؤخـرات أطفالكم أن تزينها خيوط العنكبوت قريباً ...

●●●

معسكر سمسم - شرق السودان

١٩٦٩

« الآنسة / لولو / »

المكان : مطار بنوم بنه عاصمة كمبوديا ..

الزمان : عام ١٩٦٩ ..

– الأمير نوردوم سيهانوك يتقدم مع حاشيته نحو سلم الطائرة الأثيوبية ..

– الأمبراطور هيلاسلاسي امبراطور أثيوبيا ينزل من على سلم الطائرة بجسمه الضئيل ..

– الأمير والامبراطور يتعانقان ويمشيان سوية ..

– الفرقة الموسيقية الكمبودية تبدأ بعزف النشيد الوطني الأثيوبي .

– الأمبراطور غاضباً يشير بيده للفرقة الموسيقية أن تتوقف عن العزف .

– الفرقة الموسيقية تتوقف فوراً .

– القلق على وجه الأمير سيهانوك .

– الأمبراطور يقطب حاجبيه .

– الأمير سيهانوك : – خيراً ياجلالة الأمبراطور . هل حصل شيءٌ ما ؟!

– الأمبراطور هيلاسلاسي : – لا ؟ ، وإنما على الفرقة

الموسيقية أن تتوقف عن العزف ريثما تصل الآنسة «لولو» ؟!!!

- الأمير سيهانوك : إني آسف جداً أيها الإمبراطور العظيم ، فمدير / البروتوكول / لم يخبرني برغبتكم وبأن الآنسة / لولو / سوف تستعرض معكم حرس الشرف ، بالمناسبة يا جلالة الإمبراطور ماذا تكون لكم الآنسة / لولو/ ، عفواً هل هي ابنتكم أم سمو الإمبراطورة زوجتكم ؟!!!....

- هيلاسلاسي يبتسم ويقول للأمير سيهانوك .

- انظر ، انظر ما ألطفها وأرقها أيها الأمير .

ويلتفت الأمير سيهانوك إلى حيث أشار الإمبراطور فتتملكه الدهشة والاستغراب لكنه يصمت ؟..

- كلبة لونها أسود فاحم تهبط درج الطائرة الأثيوبية الخاصة بها بغنج ودلال .

- الأمير سيهانوك ينظر إلى قائد الحرس ثم ينظر إلى الإمبراطور العظيم ويبتسم له .

- يا سمو الإمبراطور هل نبدأ بعزف النشيد الوطني لبلادكم أم علينا الإنتظار حتى تنتهي كلبة جلالتكم من قضاء حاجتها ؟!!...

- الإمبراطور ينحني ويلتقط الآنسة / لولو / من على الأرض بيديه ويداعبها وينظر للأمير سيهانوك مبتسماً .

- الإمبراطور هيلاسلاسي : - بإمكانكم أيها الأمير أن تبدأوا عزف النشيد الوطني فالآنسة / لولو / انتهت من تغوطها ؟!!!....

***

مطار نوم نه عاصمة كمبوديا

عام ١٩٦٩

« الإمبراطور المخلوع »

- توقفت السيارة البيضاء ونـزل منها أربعة ضباط والسلاح الفردي في أيديهم إنهم يتجهون إلى باب كبير فسيح ، وقف بجانبه عدداً كبيراً من الجنود وهم بكامل أسلحتهم ، بينما جلس بعضهم على إحدى الدبابات ينتظرون خروج الإمبراطور .

- سيدي النقيب نحن جاهزون للدخول إليه وإخراجه وتسليمه إليكم فوراً .

- الرائد يبتسم : - لا سندخل نحن إليه ونخرجه .

- النقيب يؤدي التحية ويقول : - أمرك ياسيدي الرائد .

- يدخل الضباط الأربعة / أياسو ، تيفري ، سلمون ، عبد الله / . باب الإمبراطور الخاص بينما احتشد الجنود حول النقيب .

- جندي يسأل : - سيدي النقيب ، هل سيُخرِجون الإمبراطور من هنا ؟!!..

- النقيب ينظر إلى الجندي ويصرخ به .

- النقيب : - أيها الجندي هل هناك مكان آخر يُخرجون منه هذا الوحش ؛ السارق ، القاتل ، أبو لولو ،

لا تقلق أيها الجندي ، إذا لـم يخرج ملك الملوك من البـاب الملكي ، فسوف أخرجه من مؤخرتي ....
- يضحك الجنود بصوت عالي .
- الإمبراطور هيلاسلاسي « أبو لولو » لوحده في الغرفـة وهو في أشد حالات الاضطراب ، وقد بدت الصُفرة على وجهه ويداه ترتعشان .
- تقدم منه الرائد تيفري وأخذ له التحية العسكرية وقـال له :
- سيدي الإمبراطور أرجو أن تأتي معنا فوراً .
- نظر هيلاسلاسي إلى الضابط وتكلم معه بصوت خافت .
- هل تريد أيها الضابط اعتقالي أو مساومتي على التخلي عن العرش ؟!..
- سيدي أوامري تقضي بأن اصطحبك ولو بالقوة وأرجو أن لا تسألني شيئاً ، تقدم ..؟!...
- كان هيلاسلاسي يصر على أسنانه ويتحدث مع نفسه.
- هل أتاني كابوس مزعج ، حسناً ، سوف أرى .
ومشى هيلاسلاسي وخلفه الضباط ، وعندما خرج من الباب وقف ونظر إلى الجنود ، عندها أدرك هيلاسلاسي حجم الكارثة التي وقعت عليه .

قهقه الجنود وهتفوا عالياً : - دعونا نذبح هذا الرجل ونعلق جثته ورأسه على أبواب القصر .

لم تصدق عينيه ما تراه أمامهما ، ولم يصدق مايسمعه من هتاف وإهانة له وقال الإمبراطور بصوت منخفض :

- غير ممكن ، غير ممكن .

- حتى تلك اللحظة لم يكن رد فعله قوي ؟ ..

- تقدم الضابط الثائر ، وفتح باب السيارة الصغيرة البيضاء وأشار بيده إلى الإمبراطور :

- تفضل ياسيدي ، سوف نقوم بنزهة قصيرة ، تفضل؟!.

هتاف الجنود يزداد بسقوطه واندفع أحد الجنود نحو الإمبراطور صارخاً بوجهه :

- نسيت أن تطعم / لولو / اليوم يا أبو / لولو / .

يزداد الضحك والهتاف ضد الإمبراطور ، وأبو / لولو / لا يصدق ما يراه وما يسمعه ؟!.

لم يخطر في بال الإمبراطور هيلاسلاسي ، أن يقوم برحلة في سيارة صغيرة كهذه ، ونظر هيلاسلاسي من شباك السيارة .

- يا إلهي ماذا يحدث ، هل فقد الناس عقولهم ، ألا يعرفون من أكون أنا ؟!!.

كانت عاصمة أثيوبيا ، أديس أبابا / ومعناها / الزهرة الجديدة / تموج وتضطرب والشعب الذي خدع من قبل ،

لعشرات من السنين ورضي قدره التعس وأظهر الاحترام للإمبراطور كما لو كان إلهاً .

- ألست أنا رجل الله المختار ؟!.

وأفاق هيلاسلاسي على صوت الضابط الثائر .

-- تفضل يا ملك الملوك .

-- أين أنا أيها الجنود ؟!..

ورد عليه الضابط فوراً .

- إنك في ضيافة الفرقة العسكرية الثانية يا أسد يهوذا .

- جلس الإمبراطور على حافة السرير مفكراً تعباً وربما لم يخطر له أنه سيكون آخر امبراطور لأثيوبيا ؟.

دخل ضابطان أحدهم برتبة مقدم ، والآخر ملازم أول ، وأدى الضابطان التحية العسكرية ثم أخرج الضابط المقدم وثيقة من مصنف كان يحمله وبدأ يقرأ ...

الإمبراطور يستمع وكأنه غير موجود معهما وعندما انتهى الضابط المقدم نظر إليه هيلاسلاسي وقال له : - هذه وثيقة عزلي أيها الضابط ؟!...

أجابه الضابط بكل أدب واحترام :

- نعم يا / تافاري ماكونين / .

- الإمبراطور يرفع رأسه وينظر إلى الضابط ويقول له :

- هل وصل بكم الأمر إلى أن تبدلوا أسمي أيضاً .

- ينظر الضابط إليه ثم يقول له : - اسمع يا / تافاري / إننا لم نبدل إسمك بل أعدنا اسمك الأصلي إليك ، ألم يكن اسمك عندما ولدت / تافاري ماكونين / ؟!..

- الإمبراطور يهز رأسه ثم يقول للضابط : - أتدري أيها الضابط ماذا فعلت بالضابط الذي قام بالإنقلاب ضدي في عام ١٩٦٠ وفشل ؟!..

- المقدم : - قتلته !..

تافاري ماكونين : - بل قتلتهم جميعاً ووضعت رؤوسهم على أبراج قصري ، لقد تركت رؤوسهم أربعين يوما معلقة على أبراج قصري .

- المقدم بكل أدب واحترام .

افهم أيها الإمبراطور المخلوع ، إن الشعب كله ، هو أهل لهؤلاء الأحرار الذين قتلتهم ، إن هذا الشعب هو الذي أسقطك وقذف بعرشك إلى مزبلة التاريخ ؟.

- يقهقه الإمبراطور المخلوع بصوت عال ويتكلم !..

- عندما أعود إلى قصري سأمسحكم جميعاً من الوجود .

- الضابط المقدم : - إعلم أيها الإمبراطور المخلوع ، إن عهدكم عهد الأخطاط والسلطة المطلقة ، قد انتهى وإلى الأبد .

وبقي هيلاسلاسي أو كما كان يسمي نفسه رجل الله المختار أو / المسيح الأسود / مجرد اسم لا أكثر ، وغني عن القول أن يكون الشعب الأثيوبي سيد نفسه فجأة ، لكن الأيام مرت مسرعة عاد رجل الله المختار بشكل جديد وحلة جديدة .

●●●

اديس ابابا

١٩٧٤

« زوج لأرملة لومومبا »

عندما ذهبت إلى الكونغو في نهاية الخمسينات وبداية الستينات ، أيام النبل الثوري في القارة السوداء ، عهد باتريس لومومبا ، نعم كان هناك إشعاع ثوري ممثل في الحركة الوطنية التي قادها باتريس لومومبا - وكان حينها رئيساً للوزارة - ثم جاء العهد الاستعماري ممثلاً بكل من جوزيف كازافوبو ومويس تشومبي والجندي الذي رفع نفسه إلى رتبة مارشال فيما بعد « موبوتو سيسيكو » ، نعم كان هناك إشعاع ثوري ممثلاً بباتريس لومومبا .

❁

- القوة العامة :

عمد البلجيكيون منذ استعمارهم للكونغو إلى إرهاب شعب الكونغو ، فكوّنوا جيشاً قوياً سموه « القوة العامة » وهذا الجيش من أبناء الكونغو أنفسهم ، هذا الجيش أنشأه البلجيك لاستخدامه ضد الكونغوليين أنفسهم .

- هذا الجيش أو القوة العامة كما سماها البلجيك ، أوجد ليبقى سبعين عاماً هكذا قال الحكام البلجيك ؟.

- القوة العامة :

أفرادها يجندون من بين الكونغوليين الذي كان عليهم أن يخدموا فيه سبع سنوات ومن الممكن أن يجندوا هؤلاء الجنود سبع سنوات ثانية وكان قادة الجيش هذا من الضباط البلجيكيين وكانت القوة العامة هذه تعمل تحت أقسى قواعد الانضباط الذي كان يفرضها الضباط البلجيكيون ، ولا يوجد في هذه القوة العامة ولا ضابط واحد من الكنغوليين .

- كانت النفرقة العنصرية متفشية بهذا الجيش الذي كان يشبه إلى حد كبير عصابة من المجرمين المارقين .

- كان الضباط البلجبك يعاملون أفراد جيشهم على أنهم حيوانات لا تصلح إلا لذبح المواطنين المدنيين ، كان الضباط البلجيك يأخذون زوجات وبنات هؤلاء الجنود ويفعلون بهم ما يحلو لهم من أفعال جنسية شاذة ومشينة .

وكثيراً ما كانوا يطلبون من هؤلاء النسوة أن يمارسن الجنس مع بعضهن البعض إرضاءً لهم ولزوجاتهم الباردات ، بل إن كثيراً من الضباط البلجيك كانوا يأتون بجنود وينتقونهم كي يمارس هؤلاء الجنود الجنس مع الضباط البلجيك ، هذه هي القوة العامة !!!....

– من قتل باتريس لومومبا رئيس وزراء الكونغو يا رفيق يولو ؟..

– قال مرافقي الثوري يولو ..بعد فترة قصيرة جداً من الاستقلال تمرد جيش « القوة العامة » وأصبحت البلاد تعيش في حالة من الفوضى والرعب ، فالقتل هنا والسلب هنا ، وحرق المحلات والسيارات والناس أحياناً في مكان آخر ، حالة خوف ، حالة قتل ، حالة رعب ، وكل ذلك وراءه البلجيك والشركات الاستعمارية .

– أرسلت بلجيكا قوات المظليين لحماية المستوطنين البلجيك والغربيين .

– مويس تشومبي يفصل جزء من الكونغو واسمه كاتانجا وينصب نفسه عليه .

– الرئيس عبد الناصر دعم لومومبا وأرسل جيشا لمساعدته .

– حكومة باتريس لومومبا طلبت من الأمم المتحدة قوات أمن للمحافظة على النظام .

– أتت قوات الأمم المتحدة إلى الكونغو ولم تفعل شيئاً مطلقاً ، بل زادت « الطين بلة » الأمور تعقدت وأصبح القتل والنهب في وضح النهار وفي الأدغال والمدن الصغيرة والكبيرة .

- أتهم لومومبا قوات الأمم المتحدة بعدم تنفيذ المهمة التي كلفت بها من قبل مجلس الأمن .

- كانت مهمة قوات الأمم المتحدة تنحصر في إعادة النظام للكونغو ثانياً : ضمان رحيل قوات رجال المظلات البلجيكية من الكونغو .

- لومومبا هدد قوات الأمم المتحدة بطردها من البلاد فوراً ؟!.

- لومومبا طلب من السوفييت مساعدته عسكرياً ؟؟..

- قوات الأمم المتحدة رفضت تهديده ولم تفعل شيئاً بل قام رئيس الجمهورية / كازافوبو / وعزل / لومومبا / من رئاسة الحكومة وجاء بالجندي / موبوتو / وسلمه مقاليد البلد وبقي / كازافوبو / رئيساً للجمهورية والخائن مويس تشومبي رئيساً لمقاطعة كاتانجا الغنية بالذهب والألماس والمعادن .

- الاتحاد السوفييتي لم يفعل شيئاً مطلقاً لا قوات عسكرية ولا من يحزنون .

- الاتحاد السوفييتي لم يقدم سوى إعلامه فقط ومن موسكو ؟!!.

- نظام عسكري ظالم أقامه موبوتو سيسيكو بجانبه الضباط البلجيك والقوة العامة .

- شكل مساعد / لومومبا / أنطوان جيزنجا / في مقاطعة

ستانلي فيل حكومة إقليمية موالية لباتريس لومومبا ، التجأ لومومبا إلى هناك في حينها !!..

- لوران كابيلا مساعد لومومبا أيضاً كان يقود حرب عصابات في اقليم كاتانجا .

- تُصدر الشركات البلجيكية والغربية في الكونغو أمراً إلى مويس تشومبي وإلى الجندي موبوتو أمراً بقتل لومومبا فوراً وبلا تردد .

- يتحرك العميل مويس تشومبي لقتل لومومبا .

- يتحرك الجندي والعميل موبوتو سيسيكو لقتل لومومبا.

- لوران كابيلا يطلب من لومومبا القدوم إلى كاتانجا لتنظيم عملية المقاومة الوطنية .

- لومومبا يذهب إلى كاتانجا في ١٧ كانون الثاني ١٩٦١ .

- تشومبي والقوات العامة والجندي موبوتو ومرتزقيه من البيض يقبضون على باتريس لومومبا ويقتلونه بوحشية مرعبة حيث قُطِعتْ أياديه ورجليه بساطور كبير ثم قطع لسانه بيد تشومبي وشطره بعدها إلى نصفين الجندي جوزيف موبوتو سيسيكو كان ذلك في ١٤ شباط عام ١٩٦١ .

- حضر تشومبي إلى القاهرة لحضور مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية في أيلول من عام ١٩٦٤ .

- الزعيم عبد الناصر يأمر باعتقال تشومبي وإعادته وعدم تمكنه حضور جلسات المؤتمر .

- تعاطف العالم كله مع باتريس لومومبا .

- الاتحاد السوفييتي بقي أشهراً طويلة يتحدث عن وطنية لومومبا وختم إعلامه بالحديث عنه بأن سمى جامعة باسمه أي جامعة باتريس لومومبا .

- أصبح الجندي موبوتو سيسيكو مارشالاً ثم رئيساً للجمهورية وقبله أصبح تشومبي رئيساً للدولة .

- رحم الله الرئيس / هواري بومدين / عندما قبض على مويس تشومبى وسجنه في الجزائر و« فطس » الخائن في سجنه في الجزائر في أول تموز من عام ١٩٦٩ .

- موبوتو هرب بعد سنوات من الكونغو ولم تقبل به أي دولة لاجئاً رغم ملياراته من الدولارات و « فطس » بالمغرب .تمرض السرطان في شرجه وضاعت ملياراته بالبنوك الغربية .

- لوران كابيلا أصبح منذ فترة رئيساً للكونغو ولا أدري هل سيكمل ما بدأه لومومبا أم عاد ليكمل دوره الذي بدأه في كاتانجا .

❁

- عدت من الكونغو إلى القاهرة ، وفي القاهرة رأيت زوجة لومومبا وهي تفتح صدرها وثدياها بارزان ،

وتصرخ كالمجنونة ، باتريس قتل ، باتريس قتل ، باتريس قتل ، وانطبقت صورة زوجة لومومبا في ذهني وهي تصرخ ...

❀

بعد سنوات كنت في الصومال وفي العاصمة مقديشو ، وهناك تعرفت إلى رجل سوري يدعى أبو الخير وله مطعم في قلب العاصمة مقديشو ، وسمي هذا المطعم - مطعم سورية - وبصدر المطعم كانت صورة كبيرة للسيد الرئيس حافظ الأسد .

- أبو الخير هذا من أهالي دمشق ومن / باب سريجة / كان متزوجاً من شقيقة رئيس جمهورية الصومال سابقاً الرئيس / عبده شرمايكي / ، قال لي أبو الخير :

- هل تعرف يا أحمد ماذا كنت سأفعل ؟!.

أجبته : - لا ، ماذا كنت ستفعل ؟!.

أجابني : - كنت سأتزوج زوجة لومومبا ، لكن الظروف / ما ظبطت / ، الله إنها إمرأة قوية وزوجها كان عظيماً وتكريماً له أردت أن أسترها .

ضحكت كثيراً حينها ، فنظر إليَّ أبو الخير متعجباً وقال :

- لماذا تضحك ..؟؟!!

- أجبته : - لقد أردت أن أفعل ما فكرت به يا أبو الخير ؟!!.

ضحك أبو الخير وقال : - أنت رجل قوي يا أحمد !.

❀

عندما ذهبت مرة ثانية إلى الكونغو رافقني في رحلتي تلك شاب يدعى / كومومبو / قال لي وعلى ذمته ..!

قال : - إن الرفيق / أرنستوتشي غيفارا / جاء إلى الكونغو يحاول تنظيم القوى الوطنية الثورية مرة ثانية ، والذي حصل إن الولايات المتحدة طلبت من الاتحاد السوفييتي وعلى أعلى المستويات خروج / غيفارا / من الكونغو فوراً .

واستجيب لطلب أمريكا فوراً ؟!

لا بمقابلة رئيس أمريكا ورئيس الاتحاد السوفييتي وجهاً لوجه أبداً ، وانما كان ذلك بالهاتف ذي اللون الأحمر في كلا البلدين.

- خرج غيفارا ليذهب إلى أمريكا اللاتينية ويُقْتَلْ في بوليفيا.

- ذهبت إلى عاصمة بوليفيا / لاباز / لألتحق بثورة الضعفاء والمقهورين والمظلومين ؟!!!..

- بعد سنوات وسنوات اكتشفت إنني لم أعد أستطيع هضم حياتي وعندما خرجت من الخيال الثوري كان الوقت قد أصبح متأخراً .

❀❀❀

الكونغو

١٩٦٠ - ١٩٧٧

« الجبير الحي »

- خرجت من كيس البلاستيك مسرعاً راكضاً إلى شجرة كبيرة طاعنة في العمر احتمي بها من القصف العنيف هكذا خُيِّل إلي ، إن هذه الشجرة المعمرة تحميني ليس من الإنفجارات والشظايا فقط وإنما من صوت القصف المزلزل .

- رضخت ورحبت بالنمل الأحمر الذي كان يتساقط عليَّ بكثرة من شجرتي الهرمة كان طول النملة حوالي / ٣سم / ، ويندفع النمل الأحمر فليدغ في البداية وجهي وعنقي ثم يتسلل بإندفاع قوي إلى كافة أنحاء جسدي لعل طوله يزداد ويصبح عشرة سنتمترات بدلاً من ثلاثة يريد امتصاص دمي توقف القصف المرعب وصحت السماء وظهر القمر مجدداً وعاد كل شيء إلى طبيعته .

- العرق الغزير يبلل جسدي وملابسي واسمع صوت ضحك صديقتي / هوانج / إنها تتأملني قائلة لي : - لا تخف يا صديقي فالنمل الأحمر الفيتنامي لا يأكل ولا يمتص إلا الأغنياء ؟!...

- الأسواق والشوارع مقفرة إلا محلات بيع « أكفان »

الموتى ، فهي الدكاكين الوحيدة التي تُفتّح ليلاً نهاراً ولا تغلق أبوابها مطلقاً .

- حفرة كبيرة أو قبر جماعي يضم عشرات الجثث ، وجنود يصبون فوقهم مادة زرقاء كلون عيونهم ، المادة الكيميائية واسمها / الجيرالحي / وهذه المادة تمنع خروج رائحة الجثث من تحت التراب ورغم مادة « الجرالحي » تصاعدت رائحة الجثث القاتلة .

❁ ❁ ❁

الفيتنام

أحمد أبو سعدة

« الكاهن يحترق ...
لكن بلا صوت »

- حلقة كبيرة من الناس ، وكاهن حليق الرأس في منتصفها ، ويسكب صفيحة بنزين على رأسه وجسده .

- كاهن آخر يتقدم من كاهن البنزين ويشعل عود ثقاب ويرميه على ملابس كاهن البنزين .

- ألسنة اللهب تتصاعد من الكاهن .

- النار المتأججة تلتهم الكاهن .

- أشعل الكاهن نفسه تعبيراً لرفضه على وجود الغرباء وقتل شعبه وإحراق أرضه .

-. الكاهن يحترق يا هوانج والناس تنظر إليه ولا تفعل شيئاً .

- الكاهن يحترق ، لا يصرخ ، ألا يتألم يا هوانج ؟!!!.

- هوانج : - هل تستطيع أن ترى وجهه من خلال ألسنة النار ؟!!..

- نعم إني أراه وقد طوى نفسه .

- هوانج انظر إلى وجه الكاهن يا أحمد ؟!..

- النار تأكل جسده يا هوانج !!..

- هوانج : - قلت لك أنظر إلى وجهه .

- لم أرَ شيئاً في وجهه سوى النار ، تأكله وفمه مفتوح وأسنانه تصر على بعضها البعض تعبر عن إصراره على رفض الغرباء في بلاده ؟!..

احترق الكاهن كاملاً ولم يسمع له صوت سوى أصطكاك أسنانه ببعضها البعض لطرد الغرباء ...

●●●

الفيتنام

١٩٧٢

« تشاتشا »

- المكان : دلتا الميكونج .
- الزمان : نهاية عام ١٩٧٢ .
- طفلة صغيرة تمسك بقميصي وتصرخ .
- يدي ترتجف وبصعوبة أضغط على « زر الكاميرا » .
- السماء تهتز والشمس معها .
- بكاء وعويل وأنين .

ألعاب العسكر تملأ سماء منطقة دلتا الميكونج ، الصواريخ بأنواعها الطائرات النفاثة والمروحية بجلالتها تتمختر وتستعرض رشاقتها لتهز السماء وتخيف الشمس وتحجبها بألوان طيف قذائفها ورصاصها وصواريخها .

- صرخت عالياً وبقوة ، الحرب انتهت ، والسماء أصبحت صافية إلا من أقواس قزح ، أما الفيتكونج[1] فقد قتلوا ومن بقي حياً هرب ؟ .

وأمسكت بيد صديقتي / هوانج / قائلاً لها : - ألم

---

(١) الفيتكونج : اسم يطلق على الشيوعيين الفيتناميين الجنوبيين .

تقولي لي إن الفيتكونج لا يقتلون الفقراء ، فقط يهاجمون العسكر والأغنياء ؟!..

- / تشاتشا[1] / ، / تشاتشا / ... أبي .... أبي ..

- اتركيني لقد تمزق قميصي / تشا تشا ، تشا تشا .

- الفتاة الصغيرة تركت قميصي ووضعت أصابعها الصغيرة والناعمة في آذنيها وركضت وهي تصرخ / تشاتشا / ، أبي .. أبي .. أبي ..

●●●

الفيتنام

دلتا الميكونج

١٩٧٢

---

(١) تشاتشا : أبي باللغة الفيتنامية .

« صديقتي هوانج »

- قالت صديقتي الجميلة ذي الملمس المخملي الناعم :

- منذ متى لم تذهب إلى نهر العشاق يا أحمد ؟!

- ألم تسمعي يا عزيزتي / هوانج / إن السيدة / نهو[1] / منعت اللهو والرقص في النوادي الليلية وقالت على الأمريكيين أن يذهبوا إلى هونج كونج إذا أرادوا الرقص واللهو ؟!.

- لكنك / يامون شيري / لست أمريكياً ؟! أنت عربي!!..

- صحيح يا هوانج إني عربي سوري ولكني أخشى مخالفة القوانين ..

- لا تخف يا حبيبي ، دعنا نذهب إلى نهر العشاق فالزوارق كثيرة هناك والأجواء رومانسية وعندما تنتهي من التجديف وتشعر بالتعب نذهب إلى أحد الفنادق العائمة ، فالشراب هناك وفيراً والأسرة مُريحة ، وأنت ستكون مرهقاً بالطبع ؟!!.

- هذا ما تودينه أيتها الحبيبة هوانج .

---

(١) السيدة نهو : شقيقة الرئيس الفيتنامي الجنوبي / ديم / .

- « وي مون شيري » ، فالليلة هي ليلة رأس السنة القمرية ، ألا ترى كيف أن الشوارع قد اكتظت بالناس والمحلات تزدحم بهم ، والآيس كريم / في أياديهم والجنود الأمريكيين السكارى يطلقون الرصاص ابتهاجاً والأطفال يلملمون الفوارغ ليلعبوا بها ، هيا هيا لنخرج ، وتجدف ، فأنت تحب الزوارق ذات المجاديف !!..

❀

استيقظت على صوت قاذفات القنابل الأمريكية تهز الفندق العائم وأسرعت إلى النافذة كي أرى هذه الطيور التي أزعجتني وإيقظتني من نومي ، لكنني لم أرَ شيئاً ولم أعد أسمع شيئا إلا صوت هوانج وهي تضحك بصوت عالي ؟..

- ما الذي يضحكك يا هوانج ؟

- شكلك ؟

- وهل شكلي مضحك ؟

- نعم ألا ترى نفسك كيف خرجت من الفراش وأنت عاري ، ثم تركض كأن النمل الأحمر بدأ يأكلك ؟!.

خجلت من نفسي وتناولت قميصي وهوانج تضحك ؟.

- يا أحمد هذا شيء طبيعي يحدث لكل منا ؟

- هل أفهم من كلامك إن ما حصل لي قد حصل لك ..؟

هزت رأسها وقالت :

- نعم وأكثر من ذلك ؟ أنت لم تخرج إلى الشارع ؟.

- هل أفهم من كلامك إنك خرجتِ إلى الشارع وأنت عارية .؟

ضحكت وقالت :

- نعم وأكثر ؟!!.

- متى حصل لك ذلك يا هوانج .

-- قالت : - عندما بدأت قاذفات القنابل تطير فوق سماء سايغون وتقصف القصر الرئاسي ، خرجت أركض في الشارع وأنا عارية ؟!!..

٭

كابوت لودج ممسكاً سماعة الهاتف بيد ، وكأس الوسكي بالأخرى .

- سيادة الرئيس إننا نقوم بترتيبات بقاءكم في الفيتنام .

- الرئيس الفيتنامي الجنوبي / نجويم بنه ديم / محتداً ويقول :

- جنودي سيدافعون عني حتى آخر رمق !! وأنا لا أقبل إلا بإستعادة سلطتي وسأعمل على البقاء في السلطة مهما كلف الأمر .

- هنا يا حبيبي أزداد القصف لمبنى القصر الرئاسي

والأبنية المجاورة له ، الجو حـاراً والرطوبـة عاليـة وأنـا ممـددة على سريري والعرق يبللني ومن شدة الحرارة والرطوبة كنت عارية تماماً ، لم يخطر في ذهني مطلقاً أن يُضْرَبْ قصر الرئاسة في يـوم مـن الأيـام ولـم يحدث ذلـك مطلقـاً منـذ أن كـان امبراطورنا السابق « بوداي » إلى الآن .

- وهكذا خرجـت إلى الشـارع عاريـة راكضـة ، لا لـم أخرج هكذا ، أي على صوت القصـف خروجـي يـا / مـون شيري / كان بعد أن تهدم منزلنا وقتـل أبـي وأمـي وأختـي ، خرجت عندها لا خوفاً من الموت بل مـن منظر أشلاء أبـي وأمي وأختي .

- وبكت هوانج واقتربت مني كي أضمها ، وأقبل عينيها كي تتوقف عن البكاء ...

●●●

الفيتنام

١٩٧٢

« سعادة السفير »

ترجل الميجر / لوسيان كونين / ودخل مسرعاً إلى غرفة السفير السيد / هنري كابوت لودج / وبعد أن أدى التحية / قال : –

– الميجر كونين ،

سيدي السفير كل شيء أصبح جاهزاً وما عليكم سوى إعطاء إشارة البدء ؟.

– كابوت لودج يبتسم ابتسامة عريضة ويخرج من خلف مكتبه الفخم ذي اللون الجوزي الغامق ويمد يده مصافحاً قائلاً :

– ميجر لوسيان ، أرجو أن تكلل خطوات أصدقائنا بالنجاح.

وفوراً رد الميجر لوسيان :

– يا سيدي السفير أرجو أن تقول إن ظفراً وليس نجاح .

– يضحك سعادة السفير ويقول :

– بكل تأكيد سيكون الظفر حليف قوات أصدقائنا بقيادة الجنرال /تران ثمان دون/ و/ دونج فان منه / ، هذا

أولاً وثانياً إن وكالة المخابرات المركزية قد اختارت رجلاً ذو مهارة عالية جداً بصنع الانقلابات .

• • •

الفيتنام

١٩٧٢

« الملابس الداخلية للسيدة نهو »

إنني أفضل أن ينقل الرئيس / ديم / وشقيقته / نهو / إلى خارج البلاد يا سعادة السفير / هنري / .

- السفير هنري - أفكار جيدة أيها المقدم /كونين / ،

لكن الرئيس / ديم / رفض وسمعت ذلك على الهاتف ، كان يقول :

أريد أن أستعيد سلطتي فأنا رئيس البلاد .؟

- سعادة السفير إن صديقي قائد الانقلاب ، قال لي بالأمس ، إن السيدة / نهو / تملك ملابس داخلية جميلة .

- وما علاقة الملابس الداخلية بالانقلاب أيها المقدم / لوسيان / .

- سعادة السفير قبل اسبوع سهرنا في منزل الجنرال / تران ثمان دون / وكان يسهر معنا الجنرال / دونج فان منه / .

وعندما كنا نستعرض تفاصيل الانقلاب وهل سنخلع الرئيس وشقيقته ونقتلهما أم نقوم بتسفيرهما خارج البلاد .

- كابوت لودج : - وماذا كان رأيك أيها المقدم لوسيان ؟.

لوسيان : - سعادة السفير لضمان نجاح الإنقلاب نقوم بتصفية الرئيس ديم وشقيقته ، / نهو / وأعتقد أن سعادتكم كنتم موافقين على ذلك .

- كابوت لودج : - كنت موافقاً على تسفير الرئيس وشقيقته / نهو / إلى خارج البلاد ولم : ....

يقاطعه المقدم لوسيان : - سعادة السفير ، .... سيدي السفير عندما كلفني مدير الوكالة بالإعداد للانقلاب قال لي :

- إن سفيرنا في الفيتنام سيطلع على التفاصيل وكيفية التعامل مع قادة الانقلاب ثم قال لي أيضاً إن سعادتك من محبذي تصفية الرئيس وشقيقته ، وأنا كنت أعلم ما بداخلك عندما كنت تقول للرئيس / ديم / بأنك سوف تبقيه في الفيتنام وكنت صادقاً في ذلك فالرئيس / ديم / سيبقى في الفيتنام ولكن جثة لا حياة فيها .

- يقطب لودج حاجبيه ويبتسم ..

- لماذا لا تخبرني عن قصة الملابس الداخلية أيها المقدم / ماكنين / .

- سعادة السفير أنت تعرف السيدة / نهو / هذه المرأة الجميلة الجذابة ذات الجمال الهادي القوي والمتحدثة الرسمية باسم الحكومة .

- نعم أعرفها جيداً وتربطني بها صداقة حميمة .

قال الجنرال قائد الانقلاب / فان منه / إن لديها أجمل ملابس داخلية في العالم كله ويريد أن يراها بملابسها الداخلية ترقص له بعد نجاح الانقلاب ، إلا أن القائد الآخر وهو الجنرال / ثمان دونج / رفض كلام صديقه قائلاً له : -

- أريد أن أراها ترقص وهي عارية بعد أن يرفع زوجها راية الاستسلام البيضاء من ملابسها الداخلية ...

في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي للانقلاب ارتفع علم أبيض من إحدى شرفات القصر الرئاسي وكان علم الاستسلام قطعة مميزة من ملابس السيدة نهو ؟!!!

❁

في ظهيرة اليوم الثاني كان المقدم ضابط المخابرات / لوسيان كونين / يجلس على كرسي دائري في بار فندق / كونتنتال / يشرب الوسكي ويدخن السيجار وبرفقته فتاة جميلة رقيقة تضحك بشدة ثم تحاوبه ، - إن ملابسي الداخلية يا حبيبي سوداء ؟!!!.

- لماذا يا نينا فأنا أحب الملابس الداخلية أن تكون بيضاء..

- نينا : - ولماذ أيها الحبيب .

يضحك ضابط المخابرات الأمريكي ويقول : -لأنني أود أن أستعملها أعلام للاستسلام عند الحاجة ؟!!

❁

- يدخل ضابط فيتنامي إلى فندق يدعى / كازافيلي / ويعرض صور آفوتوغرافية لجثتي الرئيس الفيتنامي وشقيقته داخل سيارة عسكرية مقتلوين .

طلب الضابط الفيتنامي ثمن الصور خمسة آلاف دولار ودفع ثمنهم فوراً مراسل وكالة أنباء الأسوشيتدبرس .

- السفير الأمريكي يشد بقوة على يد الضابط لوسيان ماكنين مودعاً له .

- كن حذراً أيها الميجر ماكنين فالمنطقة التي ستغادرني إليها لاتلبس نساؤهم ملابس داخلية بيضاء ..

- ماذا يلبسون إذن ؟!.

- وجاء المقدم لوسيان ماكنين إلى بلادي العربية يبحث عن نساء يلبسن ملابس داخلية بيضاء .

يُفتح كيس طويل لونه أبيض توضع به جثة لوسيان ماكنين ثم يرش فوقه المحلول الكيميائي « الجيرالحيّ » ويغلق الكيس الأبيض عليه بإحكام شديد إلا أن رائحته الكريهة ظلت تفوح منه رغم المادة الكيميائية « الجيرالحي » ، أحَبَّ اللون الأبيض ، فكانت نهايته في كيس أبيض .

وبعد سنوات جاء حفيد لوسيان ماكنين وأخشى أن يكون قد وجد عند بعض نساءنا ملابس داخلية بيضاء؟!!!..

●●●

الفيتنام

١٩٧٢

« مطار القاهرة »
« سيدة من حمص »
وعقيد من السودان

غادرنا دمشق إلى القاهرة في طريقنا إلى الخرطوم وفي المطار بالقاهرة سمعنا نبأ يقول إن انقلاباً عسكرياً وقع وفشل في السودان ، وإن قوات الجيش تسيطر على البلد والمطار مغلق والمسكين والمسكينة في مطار القاهرة .. ماالعمل ، ليس لدينا بطاقات عودة لدمشق ، كانت الطائرة ستنقلنا إلى الخرطوم والمطار مغلق ، ثلاث ليال في مطار القاهرة والشركة المصرية لا تتعترف علينا ، ليلتان نمناها على الكراسي وليلة في فندق / ترانزيت مطار القاهرة / وكان السندويش المقنن هو طعامنا كما يقولون / الله لا يقطع أحد / ..

أما كيف نمنا في فندق / ترانزيت مطار القاهرة / فإليكم القصة :

« أثناء تجوالي في ترانزيت مطار القاهرة ، شاهدت سيدة تراجع مكتب شركة الطيران المصرية ، إمرأة في حوالي الستين من العمر ، إنني أعرفها أقتربت منها / لا والله لا أعرفها / ، ما الشيء الذي جعلني أعتقد بأني أعرفها

اقتربت منها أكثر وسمعتها تتكلم بلهجة أهل بلدي لكن بلكنة حمصية وا لله يا ناس / الدم بيحن / ..

- مرحباً يا أختي ماذا تريدين ؟!. أنا من الشام ، هل تريدين مساعدة ؟!.

التفت إلي وقالت : -

- وصلت من الشام اليوم وأريد أن أسافر لعند أولادي في / نيجيريا / غداً ولا أعرف ماذا سأفعل ؟.

- أين بطاقتك ؟!.

- موجودة وبطاقتي على الطائرة المصرية ؟..

- وعند مراجعتي للبطاقة وجدت أن لهذه المرأة الحق في أن تبيت وتأكل على حساب الشركة ، لقد أصبحت خبيراً بالبطاقات والسفر وحق النوم والطعام ... إلخ .

- أخي إن هذه السيدة مسافرة إلى نيجيريا غداً ومعها بطاقة سفرها ويجب أن تؤمنوا لها مكاناً تنام وتأكل فيه :

- قلت هذا لموظف شركة الطيران المصرية فقال لي :

- أين البطاقة ؟!..

- وبعد أن تفحص البطاقة والسيدة الحمصية القلقة ومن خلال الأسئلة الكثيرة والأجوبة الأكثر ، اتضح لي ، بأنها المرة الأولى التي تغادر بها سورية .....

بعد قليل أجابني موظف الخطوط الجوية المصرية .

- كل شيء جاهز يا أفندم .... اللوكندة والطعام وكله تحت أمرك ، إحنا عايزين نخدم يا أفندم ..

- صعدت السيدة الحمصية إلى فندق ترانزيت المطار وصارت تدعو لي / الله يبعث لك أولاد الحلال ليساعدو لك / ...

- هذه غرفتك يا مدام ، وأنا موجود تحت مع زوجتي إذا احتجت أي شيء .

- أين زوجتك .

- إنها تحت في صالة الترانزيت ...؟

- يا أخي خليني أنزل اتسلى معها ،

هنا لمعت الفكرة في ذهني « سوف أحضر زوجتي إليها ، ربما تنام زوجتي في غرفتها وترتاح قليلاً من النوم على مقاعد صالة الترانزيت ، وهذا ما حصل ، بل امتد الكرم الحمصي إلى أن نمت وزوجتي عند السيدة الحمصية التي لم تستطع النوم لقلقها خوفاً من تأخرها على الطائرة .

- صرت أطمئنها طول الوقت ، وأقول لها : « لا تخافي سوف تسافرين في الوقت المحدد » ..

- فجأة دوي صوت المذياع في المطار يعلن أن مسافري الخرطوم عليهم أن يتوجهوا إلى بوابة الخروج رقم « كذا .... » وتكرر النداء وأنا وزوجتي نكاد نطير من الفرح لقد

جاء الفرج ، صعدنا إلى الطائرة وعلى بركة الله إلى الخرطوم ، وأنا في الطائرة فكرت بأشياء واشياء كان الدخول إلى السودان لا يتم إلا بتأشيرة دخول مسبقة ونحن لا نحمل تأشيرات دخول .

- في السابق لم أكن أحمل تأشيرة دخول بل كانت توضع في المطار بواسطة صديق لي وهو العقيد خليفة كرار الذي يعمل في جهاز الأمن السوداني ومن المخضرمين في العمل الأمني إلا أنه كان رجلاً طيباً ونزيهاً يحب بلده السودان وأمته العربية .

في السابق كان يأتي إلى المطار يستقبلني ويدخلني بدون تأشيرة إلى السودان إنه رجل مهم ، فهو يشغل منصب نائب رئيس جهاز الأمن السوداني ..

- كان خليفة كرار رحمه الله يساعدني في نقل السلاح من مطار الخرطوم إلى الثوار الارتيريين وبكل أمانة أقول إن خليفة كان رجلاً شهماً وشجاعاً ، قلت لزوجتي : -

- هل يستطيع أن يدخلنا العقيد خليفة كرار إلى السودان .

- هذه ظروف غير طبيعية ، هل لازال خليفة كرار على رأس عمله أم لا .... أفكار وهواجس كثيرة انتابتني سوف نتصل بسفارتنا في الخرطوم ربما يساعدوننا ؟.!! وإذا لم

يساعدوننا فما الذي سنفعله ونحن لا نملك مليماً واحداً كما لا نملك بطاقات عودة لدمشق ؟!!..

- فجأة عدت إلى صوابي وعلى صوت المضيفة يقول ؟!...

- يرجى من الركاب ربط الأحزمة ، بعد دقائق سنهبط في مطار الخرطوم ، ماذا سيحدث لنا إذا لم يدخلنا السودانيين ؟! لماذا أتيت بزوجتي معي ، إني في كثير من الأحيان أغامر ، لكن بنفسي فقط ، أعتقد بأني أخطأت كثيراً بمجيء زوجتي معي ؟!...

لامست عجلات الطائرة أرض مطار الخرطوم ولامس قلبي الحقيقة ، ليحدث ما يحدث إني في بلد عربي والمحسنين كثر ؟!!.

كانت عناصر الجيش السوداني تحتل مطار الخرطوم والدبابات والأسلحة الثقيلة وغير الثقيلة والجنود في كل مكان حتى برج المراقبة كان الجنود قابعون فيه .

- توجهنا إلى الأمن العام السوداني / وقلت لهم : ليس لدينا تأشيرات ونريد الاتصال بالعقيد خليفة كرار .

- هذا ما قلته لهم وبعد فترة قصيرة من الوقت كان الأخ خليفة كرار معنا ، ترك جوازاتنا في المطار وصحبنا إلى فندق الاكسيليسيور ، وهناك بفندق الاكسيليسيور طلب من

المسؤولين في الفندق مراعاتنا كما طلب منا ألا نخرج إلى الشارع الآن ... الأوضاع متوترة ونحن لا نحمل جوازات السفر فقد تركناها في المطار ، والجنود والتفتيش في كل مكان .

- أرجو منكم أن تنتبهوا وإذا حصل شيء اتصلوا بي ..

- في أمان الله ..

- ألم أقل لكم إني في بلد عربي والمحسنين كثير والأخوة السودانيين ذو شهامة عكس ما حصل لي تماماً في مطار كوناكري حيث أن المحسنين هناك كُثر فعلاً لكن من نوع آخر ..

●●●

القاهرة - السودان

١٩٧٩

« مطار كوناكري »

كان من عادتي عندما أصل إلى أي بلد أن أرسل برقية إلى زوجتي أشعرها بوصولي ثم أختم البرقية بكلمة تحياتي ... وهذا رمز بيني وبينها على أني بخير ؛ وعلى فكرة البرقية والرمز فقد أفادتني كثيراً ، لأنه حدث لي حادث مؤلم ومضحك في آن واحد ، في حينه كان الحادث مخيفاً وحياتي في مهب الريح ، أما الآن فهو مضحك ومسلي كما أسلفت سابقاً ، فقد زرت معظم حركات التحرر في العالم وإليكم الآتي :

- عندما هبطت الطائرة في مطار كوناكري عاصمة غينيا توجهت إلى الجوازات كبقية الركاب وأنا أتلفت يمنة ويسرة وأتسأل ، أين من يستقبلني في المطار كما أخبروني .

- أين مندوب جبهة تحرير / غينيا بيساو / ورأس الجزر الأخضر ؟!.

ألم يقل لي مندوبهم في القاهرة ، أن مندوبهم في كوناكري سيستقبلني في المطار ، أين الرفاق بعد طيران دام / ١١ ساعة / .

وجدت نفسي أمام ضابط يبتسم ويشير لي أن أتبعه .

قلت في سري ربما هذا الضابط الغيني مثل الضابط السوداني خليفة كرار ..

- أشار لي الضابط الغيني أن أقف ولا أغادر مكاني أبداً ، لا بأس ... سوف يعود ويأتي بمن يستقبلني ، هكذا تعودت وهذا ما يتم عند زيارتي للسودان . دائماً يأتي أحد الضباط السودانيين ويقول لي بأدب واحترام :

- تفضل اجلس هنا .

- أما هنا فقال لي الضابط الغيني :

- قف ولا تجلس .

ربما كانت العادة هنا هكذا ، إن جو السودان وعاداته تختلف عن غينيا ، صحيح أن الحرارة واحدة ، إلا أن الرطوبة حينها كانت عالية ولا تقارن أبداً برطوبة الكويت أو جدة ، وخلال دقائق أصبحت مبللاً من الرطوبة .

- تمام ..

- الحمد لله لقد أتوا لاستقبالي ، اثنان من الرجال يرتديان اللباس المدني وبكل وقاحة دفعاني أمامهما : تسألت .

- ماهذا الاستقبال ؟! ولم أتكلم ولم أعرف ماذا يجري ، ودفعاني إلى غرفة مظلمة . إنها زنزانة ، لكنها فارغة ، ما هذا ، مالذي يحدث ، وما هذا الاستقبال ؟!!.

- في مطار الخرطوم ، كنت أجلس ويقدمون لي الشاي باللبن أي الحليب ، ويحضر العقيد خليفة كرار ويأخذ الجواز مني وأخرج من المطار ، أما هنا فبعد الدفش والنعر وكلمات لم أسمعها ولم أفهمها ، إلا أن تعابير الوجوه والشفاه الغليظة التي تبربر كانت توحي لي بأن شيئاً سيئاً سيحدث ، وعندما دُفِعْتُ إلى غرفة الضيافة في مطار كوناكري ، أعتقدت بأني وحيد ، لأني لم أشاهد أحد في هذه الزنزانة ثم فجأة أرتطمت بكتل بشرية ، لقد تحسستها بعد أن وقعت على الأرض كانت الغرفة مظلمة والموجودون في الزنزانة كثيرون ، بعد حوالي عشرة دقائق أو أكثر تبينت الأشياء قليلاً وفاحت رائحة نتنة ، كأن هناك حيوانات ميتة هنا ، الله أكبر ، هنا بشر كثيرون ؟!!!

وصدقوني لم أعرف بهم إلا في اليوم التالي ، ما هذا القبر الجماعي ؟!! ماذا فعلت ؟! قلت في نفسي ربما نزلت طائرتي في جنوب أفريقيا ، والله لم أخطئ الطائرة ، فلماذا حدث هذا هنا ؟!!!

- إني ذاهب إلى رفاقي ، إلى الثورة ، إلى غينيا بيسار ، ماذا حدث ، وما العمل ؟!!.

- ماذا أقول ، ماذا أنادي ، ماذا أكتب ،؟!! إحدى عشر يوماً وأنا في المنتجع ، ماذا أسمي هذه الزنزانة ، هل هي

سجن أم مكان لتخزين البشر ، هنا يتغوطون وهم واقفون ، لا ماء لا ورق ؟! وفي أحسن الأحوال يمسحون بالقميص ويحتفظون به للمرة القادمة ، لعن الله الثورة والثوريين وهذه الدنيا ، لم أفكر بأحد إطلاقاً إلا بنفسي وبنفسي فقط ، وأردت فقط لقاء وجه ربي ؟.!.

- إحدى عشر يوماً ، عشرة ليالٍ ونهار واحد ، كل / ٢٤/ ساعة يفتح الباب ويقوم أحد النزلاء من فندق الخمس نجوم بتنظيف القاذورات وبراز الأفاضل - المساجين - وا لله لم أجد عدلاً إلا في هذا المنتجع ، فمنتجعي سكانه نظاميون ، فكل يوم يقوم أحد النزلاء بتنظيف / السويت / وعندما جاء دوري دفعت عشرين دولاراً إلى الحارس وعشر دولارات إلى أحدهم ليقوم بالتنظيف بدلاً عني ، ثم قلت للحارس :

- أريد ماء ؟!.

مددت يدي بعشر دولارات أخرى وزمجر الحارس ، يريد الدولارات قبل الماء ، ضحكت وقلت له :

- لا ... الماء أولاً ... ثم النقود ؟!.

- دفعني إلى الداخل وأغلق الباب فقلت له بالعربية :

- لجهنم ... الله يلعن أبوك وأبو يلي جابني لهون ؟!!!..

ومرت ساعات وربما سنون ، هكذا أحسستها ، الثانية بشهر والدقيقة بسنة ؟!!!.

وفتح الباب وظهر الحارس وهو يحمل دلوا من الماء ، وتساءلت ، ما هذا ...؟! ماء أم .... ؟!.

ومد الحارس يده يريد الدولارات .

- تفضل يا سيدنا ؟!.

- كلامي كله بالعربية ، وعلى فكرة في / غينيا / يتكلمون لهجات عديدة جداً لكن اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية ، كانت طريقة تفاهمي معهم تتم بالإشارات أما كلامي بيني وبين نفسي بالإضافة إلى الشتائم فكان باللغة العربية .

- والله إن الأيام التي قضيتها كانت صعبة ومخيفة ، وكلت فيها من الشتائم ما كلته في حياتي كلها .

- بعد تنظيف نفسي ، نظفت مكان جلوسي وأنا أزمجر والعن / غينيا / من / أحمد سيكتوزي[1] / إلى الحارس وإلى كل من نادى بالحرية والثورية ، هكذا كانت تمر أيامي لقد دفعت دولارات كثيرة ، رشوى للحارس ورفاقه وإلى بعض النزلاء الذين يطلبون بعض الخدمات والسجاير ، كنت أدفع لهم لينظفوا الأرض بدلاً عني وأن يتغوطوا في الجردل الذي أحضره الحارس لقاء عشرين دولاراً ؟!.. هكذا كنت أمضي أيامي في المنتجع .

---

(١) احمد سيكتوري : رئيس جمهورية غينيا .

- لم تصل برقية مني إلى زوجتي ، يوم ، يومان ، ثلاثة ، أين الرجال ؟!!!.

-- هل ضاع الزوج ؟!!..

واتصلت زوجتي بصديقي / خالد الغزي / رحمه الله وأخبرته إنني لم أتصل بها وكان المرحوم يعمل كرئيس لقسم الرموز في وزارة الخارجية ، وهو رجل صادق وأمين ومحترم والناس كما كان يقال / تريد له خدمة / وفي اللحظة نفسها اتصل بسفارتنا في القاهرة وطلب من أحد أصدقائه في السفارة السورية الاتصال بالجمعية الافريقية ومقرها في حي الزمالك وفي هذه الجمعية توجد مكاتب حركات التحرر الأفريقية ، ومرّ يومان بدون إجابة .

- ذهبت زوجتي إلى شركة الخطوط المصرية واستعلمت عني وفي المساء جاءت الإجابة عن طريق الخطوط المصرية .

- إن زوجك أخذ الطائرة من مطار القاهرة ، وتوجه إلى كوناكري ، ورقم الرحلة كذا ، وأقلعت الطائرة ساعة كذا ، والطائرة وصلت بسلام إلى كوناكري وهو على متنها .

- قالت زوجتي لنفسها : أحمد إذن في كوناكري ، أين اختفى ؟! وهو على غير عادته وبدأت الاتصالات والبحث عن سيادتي وأنا أعيش في الجنة مرتاحاً مبسوطاً ...

- استغرقت عملية البحث هذه عشرة ليالٍ ونصف نهار.

- جاء الفرج وفتحت الأبواب وابتسم الحارس وأخذ التحية بدون دولارات ...

كان بعض المدنيين واقفين مع الحارس وقال أحدهم :

- الأخ أبو سعدة ؟!..

- قالها بالعربية .

- نعم سيادتي أبو سعدة .

- أستغفر الله ، أستغفر الله نحن جداً آسفون ..

- على أي شيء تأسفون أيها الثوار ؟!.

- لنخرج من هنا ونصحح ما حصل !.

- باسمنا وباسم الثورة نعتذر ، حصل خطأ ، إن البرقية التي جاءت من مكتبنا في القاهرة لم تصلنا إلاّ بعد أيام من وجودك هنا ، وإن الخلل الذي حصل نعتذر عنه وسنخبرك به ونحن جداً آسفون ؟.

- إلى أين ذاهبون الآن .

- إلى المدينة إلى داخل كوناكري .

- لا أريد منكم شيئاً ، لا مدينة ولا غيرها / أريد العودة إلى بلدي ، هذا ما أريده فقط ؟!

- وبعد ألف رجاء والكلام عن الأزهر والكعبة الشريفة من صاحبنا / علي / خريج جامعة الأزهر ، ذهبت معهم ، ورميت ثيابي وكان أطول حمام في حياتي ..

- عاد رفاقي وذهبنا للعشاء معاً ، ولم أسمع منهم طيلة الوقت إلا الأسف وسألتهم .

- لماذا فعلتم بي هكذا ؟! ماذا فعلت أنا لهذا البلد ، ماذا فعلت لكوناكري ؟!..

- يا أخي أحمد أرجوك أن تهدأ ، وتصبر ، إن الله مع الصابرين إذا صبروا ؟!.

- لقد حصل في البلاد انقلاب قبل مدة ، وقد فشل واشترك في هذا الانقلاب بعض اللبنانيين ومن هؤلاء شخص من عائلة أبو سعدة ، وهو تاجر كبير ، وكان قد دفع مالاً كثيراً ضد رئيس الجمهورية / أحمد سيكتوري / وهذا ما حدث ؟!...

- أنت مجنون يا بكر وكان هذا اسم من يخاطبني ، أما بقية الرفاق وعددهم يزيد عن العشرة ، كانوا ينظرون إلي نظرة واحدة ، ولم أفهم من نظراتهم شيئاً .

- أريد العودة إلى بلدي ، هكذا وبكل بساطة حدث التباس ، والأحد عشر عاماً ونصف وهذه السنون أكانت أياماً ، أين ذهبت آلالام تلك الأيام ، أين ذهب عذابها ..

- الحمد لله إننا موجودين هنا ..

- هذا ما قالوه لي ..

- اسمعوا ، أريد العودة ..

وفكرت أن أذهب إلى سفارتنا لكن ذاكرتي اسعفتني ، فلم يكن لدينا سفارة في كوناكري / في ذلك الوقت / ..

هذا الفيلم الدرامي الكوميدي لا يمكن نسيانه ..

كيف أنسى تلك المأساة ..

كيف أنسى الإنسان الذي يتغوط وهو واقف ، نعم رأيت هذا الإنسان / وفي منتجعي طيلة المدة التي عشتها ، لله در الديمقراطية وما أجمل الحرية بعد العذاب ..

- رجعت إلى بلدي ولكن بعد فترة عدت إلى كوناكري ومنها غينيا بيساو ، ألست ثائراً .

وعليّ أن أقف إلى جانب كل من يطالب بالحرية ..؟!!!!

●●●

كوناكري

١٩٧٣

« ضريبة في مطار أسمرا »

جميل أن يعود المرء إلى ذكرياته وخاصة إذا كان لتلك الذكريات طابع نضالي مع أصدقاء وأخوة كان اللقاء بهم والتعرف عليهم الثمرة الحقيقية في الحياة .

مازلت أذكر تماماً عندما انطلقنا من قرب معسكر / ربدة / في الريف الأرتيري في بداية عام ١٩٧٧ ، أنا ومجموعة من المقاتلين تجاوز عددهم الأثني عشر فدائياً بقيادة المناضل / سعيد صالح / وبعد اسبوع من مسيرنا انضم إلينا عدد من المناضلين من قرية /دولوك[١]/ وبرفقتهم عدد من البغال المحملة بصواريخ /غراد/ المقدمة هدية للثوار من الدول العربية.

كان يرافق كل بغل من البغال الأثني عشر سائس ومناضل .

اتذكر أن المسافة كانت بين البغل والآخر / ١٠ متر / والسبب في ذلك هو أن الطريق كان خطراً ووعراً ولابد من الحرص من مفاجئات الطريق الذي نسلكه ، أو بالأصح نشقه لأنه لم يكن هناك بالأصل طريق ، لأننا بدأنا المسير وسط

---

(١) دولوك : قرية كبيرة في وسط ارتيريا .

طرقات جبلية وعرة كنت دائم النظر يميناً ويساراً مستغرباً وعورة الطريق ومندهشاً لمنظر جبال حماسين[1] الشاهقة والوعرة ، ثم أتساءل بيني وبين نفسي : غريب ... كيف يعرف دليلنا هذه الجبال ، هل سار فيها سابقاً يا ترى ، وإن كان فعلاً قد سار فيها فما الذي أتى به إلى هنا ؟!..

ثم أنظر إليه وابتسم ..

كان دليلنا ، المناضل / عثمان / الآمر الناهي لنا في رحلتنا ، نتلقى منه الأوامر ثم ننفذها دون أي اعتراض ، فمثلاً : عندما يقول لنا [« كلو ، نأكل » ، « اشربو ، نشرب »] ودون أن نتفوه بكلمة واحدة ، مارس علينا الدكتاتورية بحذافيرها ، حتى البغال لم تنجُ منه لأن القافلة كانت متقطعة وتستظل بظل شجر منطقة حماسين الكثيف لامن شدة الحرارة وانما للتمويه .

أما أنا فقد كنت أحاول التقرب منه أكثر لكي يخبرني كم بقي لنا من مسافة كي نصل ونتخلص من هذه الجبال والصعود والهبوط وشق هذا الطريق الوعر .

وعندما أقترب منه أسرع بسؤال اللاهث « يا عثمان كم بقي لنا » ؟!.

---

(١) حماسين : منطقة تقع بها عاصمة ارتريا أسمرا .

كان يضحك ويصمت لحظات ثم يقول بلهجة سودانية « كريب » أي / قريب يا أبو سعدة / وهكذا استمرت رحلتنا ثمانية عشر يوماً ، إنها رحلة دك مطار أسمرا وقصف طائرات نظام الطغمة العسكرية في اثيوبيا .

تقطع المسافة عادة بالطائرة من السودان إلى أسمرا بساعة واحدة وفي الباص من مدينة كسلا السودانية بيوم واحد ، أما نحن فقد كنا سباقين وحطمنا رقماً قياسياً ، لقد قطعناها بثمانية عشر يوماً ، وأخيراً وصلنا إلى جبل يدعى « تاغارا »(1) .

استرحنا مدة يوم كامل وليله حسب تعليمات الدليل ، وبعد هذه الاستراحة الكريمة التي منَّ علينا بها الرفيق المناضل عثمان ، تجمع المناضلون وقررنا الصعود إلى قمة الجبل ، أولاً ، أنا والدليل عثمان والقائد سعيد صالح ومعنا إثنان من المناضلين ، وبالمناسبة لقد / قتل سعيد صالح / بأن ضرب على رأسه من الخلف في مدينة كسلا ، وقيل وقتها إنه وقع من على ظهر الدراجة لكن على ما يبدو إن ثعباناً منقطاً قد لدغ صديقي وكثيراً من شعبه الارتيري وهذا الثعبان يقوم من وقت إلى آخر بلدغ مناضل عربي وكان آخرهم الشهيد بطل

---

(1) جبل تاغارا يبعد عن مطار أسمرا حوالي ٢٥ كم .

معارك ارتيريا / محمود حسب / وكان هو و/سعيد صالح / من خريجي المدارس العسكرية العربية السورية .

وصلنا إلى قمة الجبل بعد جهد ومعاناة كبيرين ، لقد كان التسلق صعباً وشاقاً ومولماً ، لم أكن أفكر بنفسي أن أصل إلى القمة أم لا ، بل كنت أفكر بهؤلاء المناضلين الشرفاء ، وكنت واثقاً من وصولهم رغم المشاق التي سيتعرضون إليها ثم خطرت ببالي « البغال »كيف ستصعد وهي محملة بهذا السلاح الثقيل .

وبعد تساؤلات تذكرت وعرفت لماذا لا تستطيع البغال الصعود ... نعم لا تستطيع الصعود لسبب بسيط هو إنها « بغال » ولن تتمكن من الصعود ، وإن حصل وصعدت فلن تتمكن من البقاء ، لأن القمم وكما هو معروف للنسور وليست للبغال ؟!.

وبينما أنا في خضم هذه الأفكار ، ونظرت حولي وإذ بنا قد وصلنا إلى قمة الجبل التفت إلى / سعيد صالح / فوجدته يسبر المكان بنظراته وملاحظات لكنه ما لبث أن وقف فجأة ونظر إلي وقال « ياأخ أحمد هذا أحسن مكان لضرب مطار أسمرا وقصف طائرات نظام منغستو هيلا مريام » .

وفوراً طلب من أحد المناضلين إخبار الآخرين باحضار المنصات والصواريخ من على ظهور البغال أما أنا فقد جلست

جانب صخرة كبيرة بها تجويف مخيف وكأن هـذا التجويـف كهف فنهضـت وجمعـت قليـلاً مـن الحطـب وأشـلعت النـار داخله من أجل أن أجهز الشاي وطلبت من أحد المناضلين أن يحضر لي الماء والشاي والسكر من الجعبة الموضوعة على أحد البغال ، وبينما أنا أقوم بتحضير الشاي كان معظـم المنـاضلين قد بدأوا بحمل المنصات والصواريخ إلى هذه القمة الشاهقة .

وبينما أنا منهمك في تحضير الشاي وتحريك النار وإذ بـي أحس بشيء يلتف حول ساقي ، شيء بارد لزج ناعم ، كان تحركه على ساقي يجعـل جسـمي يقشـعر ، وبـدون أي تـردد وبأسرع من البرق ، وبكلتا يـدي أطبقـت علـى هـذا الشـيء اللزج الناعم ، إنه ثعبان ، نعـم ثعبـان مـن النـوع الأصفـر أو كما يسمونه الثعبان الجبلي القاتل .

إنها قدرة وقوة من الله عز وجل وهبني أياهـا فسـاعدتني وأعطتني الشجاعة والسرعة المذهلة لأطبـق بكلتـا يـدي علـى عنق الثعبان ، فضغطت وضغطت بكل ما أوتيت من قـوة إلى أن جحظت عيناه ولثوان إلتقت نظراتنـا وغـاصت عينـاي في عينيه ، غاصت إلى الأعماق ، وغاص تفكيري في عينيه ، هل أقتله ، وكيف ولماذا ، إنه لم يلدغني ، أم أن الفرصة لم تتـح له ، هل يستنجد بي ويترجاني أن لا أقتله ، وإن لم أقتله هـل أضمن أن هذا الثعبان لن يغدر بي ويقتلني إنـي لا أظـن هـذا

أبداً ، والمعروف عن الثعابين الغدر والخيانة ، وهذا ما أكدته لي عينا الثعبان اللتان كانتا تلمعان أمامي والشرر يتطاير منهما وخبث الدنيا ومكر الشياطين والسم القاتل يطل منهما .

صدقوني كل هذا راودني بأقل من ثواني واتخذت قراري - القتل - نعم القتل ولا أجمل ولا ألذ من قتل الثعابين ؟! يتوهج كل عضو في جسدك وتخرج الحرارة من يديك لتضغط بعنف على عنق ثعبان الجبال ، وأفقت على صوت عثمان يقول « أبو سعدة كرب ، كرب ، أمسك كويس ».

لقد كان عثمان يمسك ذنب الثعبان ، إلا أن أحد المناضلين أسرع واجتز رأس الثعبان بسكينه ففصل الرأس عن الجسد ، رأس يرقص وجسد يرتفع وينخفض يعلو ويهبط ، كم أسعدني وأدخل إلى قلبي الفرحة وكم شعرت باللذة عندما جلست على الأرض أراقب الرأس المفصول عن الجسد وهو يرقص .

هذا هو المصير المحتوم والمعروف للثعابين مهما كان طولها ومهما كان عرضها ، مهما اعتلت أو ارتفعت فمصيرها فصل الرأس عن الجسد .

كان طول هذا الثعبان مترين وفصل رأسه عن جسده بأبسط ما يمكن .

وعدت إلى إبريق الشاي لأشرب الكأس الذي أحضرته ، أما عثمان فقد ذهب إلى الثعبان ليسلخ جلده الأصفر المنقط .

انتصبت المنصات وبسرعة البرق انطلقت صواريخ / « الغراد » الـ ٣٦ / لتدك طائرات ومطار أسمرا ، لتدك آلة الحرب الأثيوبية ، ومن بعيد كنت أصور ما آراه وأسجله من أجل يوم تحرير اسمراً ، والحمد لله حُررت أسمرا وحُررت أرتريا .

وجئت إلى أرتيريا وحطت الطائرة المصرية فوق أرض المطار ، فنزلت منها متوجهاً إلى مصلحة الجوازات وقدمت جواز سفري العربي ، سألني موظف المطار بلغة غير عربية اعتقدت نفسي في البداية أنني في أديس ابابا أو أن أرتريا لم تتحرر .

- أين تأشيرة الدخول ، نظرت إليه ملياً وقلت له :

- أأحتاج إلى تأشيرة دخول ؟.

- قال : نعم .

- أثناءها جاء أحد المواطنين العجائز وترجم له من العربية ما أقول :

- إن تأشيرته موجودة عند المدير ؟.

وذهبنا سوية إلى مكتب المدير الذي لم يبال بي ؟ بل فتح الدرج وأخرج دفتراً وتحقق من وجود تأشيرتي ثم نادى على

أحد الموظفين وقال له :

- ضع التأشيرة على الجواز :

- فقال الموظف والجواز بيده : أربعون دولاراً !!..

- فوجئت وقلت : أربعون دولار ، لماذا ؟!..

- أجاب : تأشبرة الدخول لمطار ومدينة أسمرا ..

- قلت تأشيرة الدخول غالية يا ...؟!...

- قال : هذه تعريفتنا ....

- قلت : تفضل ، خذ أربعين دولار ، لكن أليس للضيف « إكرامية » ؟!.. يبدو أن العجوز لم يترجم الجملة الأخيرة.

لم يرد الموظف وذهب ليضع الختم على الجواز وسرحت وعدت بخيالي إلى قبل سنوات طويلة ، لقد شاهدت أسمرا مرتين أثناء الاحتلال الاثيوبي من الجبال ، وإحدى هاتين المرتين قصفنا مطارها ، مطار منغستوهلا مريام بصواريخ العرب ، وشاهدتها مرة أخرى أيام حكم الأمبراطور المخلوع هيلاسلاسي من الجبال أيضاً وبرفقة أشقائي المناضلين ؟!...

نعم لم أدفع سنتاً واحداً في المرات السابقة ، لأني كنت قد دخلتها مع القوة مع الحق ، مع إخوتي / سعيد وولد داويد وحامد محمود وغيرهم / من أبطال أرتريا العرب ، دخلتها مع أصدقائي وأشقائي ، ألم أقضِ معهم طيلة سنوات شبابي ؟!. ألم أقضِ / ٢٩ عاماً / من حياتي بين الجبال.

والصخور والوديان والصحارى ، أظن أن الثعابين خرجت من هذه الأمكنة لتعشعش في المدن وتأخذ ضريبة جزاء نضالي .

آه ، لقد تذكرت ، ربما وجب علي اليوم أن أدفع ما يترتب علي من ثمن الطائرات والمدرجات التي دمرت بصواريخ العرب وبالأيدي الأرترية الوطنية ، لكن ما ذنبي إذا كان العرب أعطوا المال والسلاح والتدريب لهؤلاء المناضلين ، عفواً الثمن هو أني عربي ، أو ربما لا ، لا ، هذا غير صحيح لقد أصبحت أرتريا حرة مستقلة والحمد لله وبات من المفروض أن تدفع ضريبة آليست أرتريا دولة ، نعم كنت سعيداً جداً لأن ارتريا أصبحت مستقلة ومطار أسمرا يأخذ ضريبة من العرب ..؟؟!!..

●●●

ارتريا

١٩٧٧ - ١٩٩٧

انتبه .... استااااعد ..؟!!!

« الصابون الأمريكاني ...؟!!.. »

- إحدى محطات التلفزة الأمريكية ، أوقفت برامجها فجأة وعرضت دعاية للصابون طبعاً هذا شيء عادي ؟!..

لكن بعد فترة (ثواني) ظهر شاب وفتاة شبه عاريين على الشاشة وكل منهما يمسك بيده قطعة صابون .

- الشاب يقول : هذا الصابون ينظف كل شيء حتى العربي ينظفه ، رجل عربي يرتدي الكوفية والعقال يظهر على الشاشة وهو يخلع ملابسه الوسخة جداً ..

- الفتاة شبه العارية تتجهه نحو العربي الذي نراه شبه عاري وتمسك بيده ثم تدفعه إلى البانيو وتبدأ في تنظيفه بلوح الصابون الذي في يدها وتقوم بحركات إثارة والعربي يضحك ويبتسم .

- الفتاة العارية تمسك لوح الصابون بيدها وخلفها الرجل العربي وقد بدا نظيفاً ويلمع ..

الفتاة : عفواً سيداتي وسادتي ، انظروا إلى العربي ، كيف بدا العربي ناشد نظيفا ، العربي يضحك ويمسك بيده

لوح صابون يرفعه ، إلى الأعلى الفتاة الشبه عارية : تغمز بعينيها وتقول :

سيداتي سادتي نحن نتحدى أي صابون آخر ينظف هذا العربي القذر ..

●●●

تلفزيون امريكي

انتبه .... استاااعد ..؟!!!

« جاء في التلمود »

« رسالة من .... ، إلى .... »

جاء في التلمود أن آدم عاشر « ليليت » عشرة زوجية مائة وثلاثين سنة و/ليليت / هذه شيطانة وقد أنجبت له شياطين وأقزاماً ...

أما حواء فقد عاشرت شيطاناً مائة وثلاثين سنة أيضاً ، عاشرته عشرة زوجية وأنجبت للشيطان ذرية .

❁

يقول الحاخام مناحيم إنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع / اسموديه / ملك الشياطين في مدرسة السماء .

❁

- جاء في التلمود / إن أحد الحاخامات سمع ا لله يقول .... من يحللني من اليمين الذي أقسمته ؟!.

- إلتم مجلس الحاخامات عندما أخبرهم هذا « الرجل

العاقل » بما قاله الله له واعتبروه حماراً لأنه لم يحلل الله من يمينه .

❁

- نصب اليهود ملكاً وضعوه بين السماء والأرض اسمه / مي / وضعوه كي يحلل الله من قسمه ونذوره عندما يتطلب الأمر ذلك .

جاء في التلمود يستشير الحاخام / ميم / على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء .

❁

جاء في التلمود : إن الله نادم على تركه اليهود فصار يطلم ويبكي ؟!...

كل يوم تسقط من عينيه دمعتان فيسمع دويهما وتضطرب مياه البحر وتهتز الأرض وفي أغلب الأحيان تحصل الزلازل .

❁

- جاء في التلمود : إن الله اعترف بخطئه في تخريب الهيكل فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر قائلاً :

تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي ...

❁

- النهار اثنا عشر ساعة ، الثلاث ساعات الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، والثلاث الثالثة يطعم العالم وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك .

❁

- جاء في التلمود : إن من يغتصب طفلة غير يهودية تجاوز عمرها ثلاث سنوات حلال ؟!..

وفي تاريخ ٢٢/١٢/١٩٩٨ قام واضعي التلمود بقتل أم وأطفالها الستة في جنوب لبنان .

❁

- جاء في التلمود : إن المسيح عيسى بن مريم ابن غير شرعي وإن مريم حملته وهي / حائض / .

❁

- جاء في التلمود : من يسفك دم غير يهودي فإنما يقدم قرباناً للرب

❁

- جاء في التلمود : يقولون إن إلههم يهوه يغفر لهم في عيد الغفران كل سيئاتهم نحو الآخرين ومقدم مغفور الغام القادم بل هو عمل مبرر إلا أن يكون الإجرام في حق يهودي .... لذا من يقتل يهودياً قتل الناس جميعاً .

- جاء في التلمود : إن اليهودي أحب إلى الله من الملائكة فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء .

❁

هذا بعض ما يقوله اليهود في تلمودهم ؟!!..

جاء في التلمود : من رأى إنه يجامع أمه فسيؤتى الحكمة ومن رأى أن يجامع أخته فسيأتيه نور العقل .

❁

- جاء في التلمود : يبيح لليهودية أن تزني بغير اليهودي بدون حرج ولو كانت متزوجة ، كذلك للرجل اليهودي أن يزني بغير اليهودية أما زوجته ما دامت الزانية من / الجوميم / أي من غير اليهود .

❁

- يقول حكماء اليهود وعقلهم : إن تعاليم الحاخاميم لا يمكن نقضها ولا تغييرها حتى بأمر الله .

❁

يقول اليهود : نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه .

❁❁❁

فهرس

الإهداء	٣
المقدمة	٥
انتبه .. استاااااعد ..؟!!!	٧
خيوط العنكبوت	
الآنسة لولو	١١
الإمبراطور المخلوع	١٥
زوج لأرملة لومومبا	٢١
الجيرالحي ؟!... مسحوق للتجميل	٢٩
الكاهن يحترق ... بلا صوت	٣١
تشا تشا	٣٣
صديقتي هوانج	٣٥

سعادة السفير	٣٩
الملابس الداخلية للسيدة نهو	٤١
مطار القاهرة	٤٧
سيدة من حمص	
عقيد من السودان	
مطار كوناكري	٥٣
ضريبة في مطار أسمرا	٦٣
انتبه .... استاااعد ..؟!!!	٧٣
الصابون الأميركاني	
انتبه .... استاااعد ..؟!!!	٧٥
جاء في التلمود	
الفهرس	٧٩

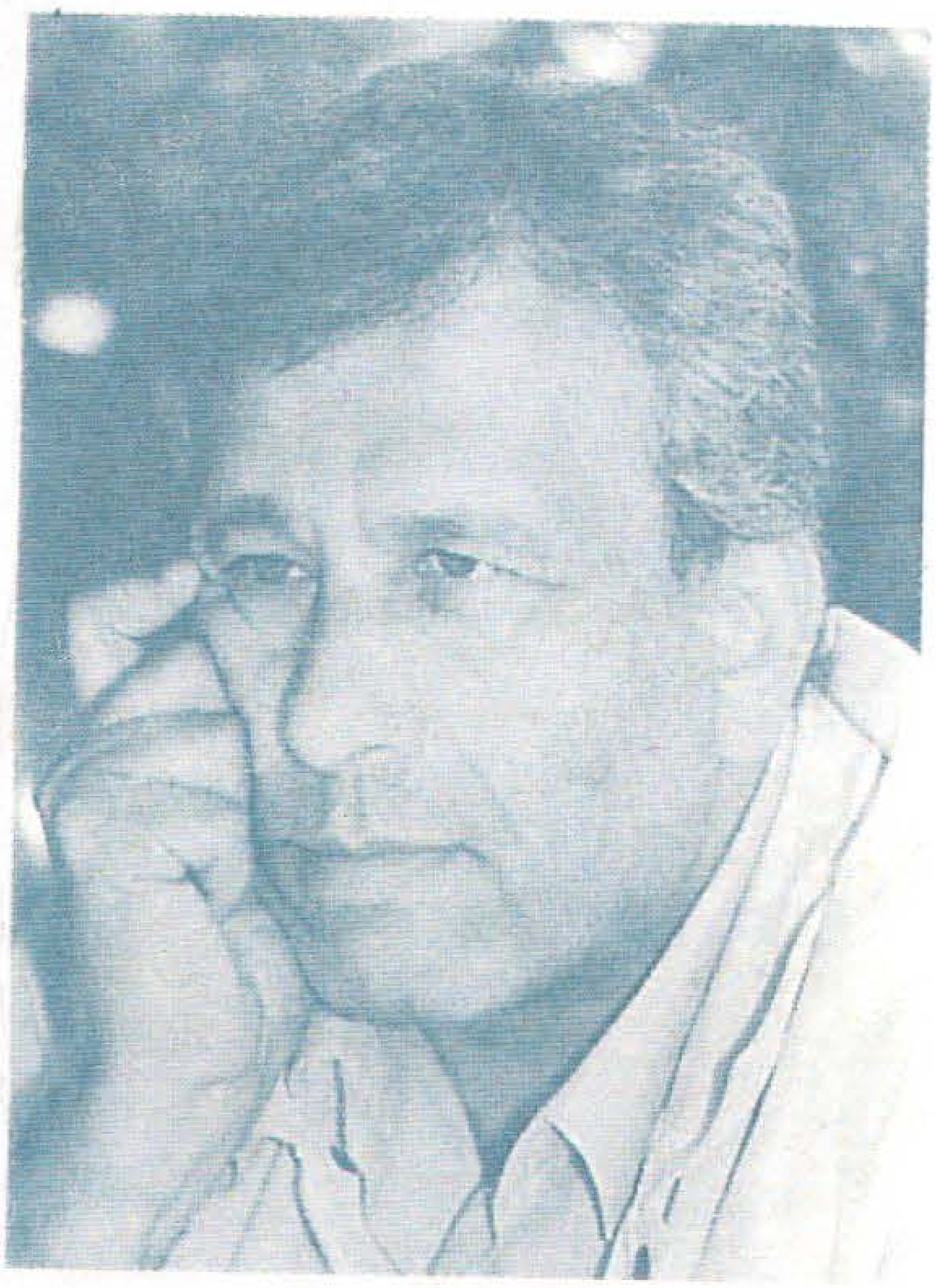

أحمد أبو سعدة

- من موالد دمشق ١٩٤٠ .
- عمل مصوراً منذ عام ١٩٤٨ بجانب دراسته .
- عمل مصوراً سينمائياً منذ عام ١٩٦٠ بعد أن تلقى تدريبه في كل من القاهرة وروما .
- وعمل مديراً للتصوير السينمائي في التلفزيون العربي السوري والقطاع الخاص في عام ١٩٧٠ .
- أول من قدم فيلماً روائياً في التلفزيون العربي السوري إخراجاً وتصويراً ١٩٦٢ .
- صورً وأخرج عدداً كبيراً من الأفلام الوثائقية والأفلام الروائية القصيرة ، ونال عدة جوائز منها الجائزة الثانية في مهرجان لايبزك .
- أنتج عدداً من الأفلام الروائية الطويلة وعمل مديراً للتصوير في أفلام روائية عديدة .
- انضم إلى العمل الفدائي الفلسطيني في كل من غور الأردن وجنوب لبنان .
- عاش مع الثورات التالية : الثورة في غينيا بيساو (وجزر الرأس الأخضر - الثورة في ظفار - الثورة في الصومال الغربي (أوغادين) - الثورة في الفليبين (مورو) - الثورة في تايلاند (الفطانة) - الثورة في الكونغو - الثورة في أنغولا) .
- الثورة في أرتريا - حيث أصبح عضواً في جبهة التحرير الأرتيرية .
- عمل مراسلاً حراً في الفيتنام أثناء الحرب الفيتنامية .
- عمل مراسلاً حربياً في حرب تشرين التحريرية .

30
31
04468619